

نوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة الصحابة - الدرس ٢٣ : الصحابي حاج بن علّاط السلمي رضي الله عنه
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-٠٤-٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة والأخوات بالخير طابت أوقاتكم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وهذه دعوة متتجدة في هذا الشهر المبارك لتابع حلقة جديدة من صور من حياة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم الذي رياهم النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام .
أعزاءنا يسعدنا أن نستضيف فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق والمدرس الديني في مساجد دمشق وخطيب جامع النابلسي فضيلة الشيخ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وعلّكم السلام ورحمة الله وبركاته أستاذ جمال .
الحديث عن صحابي جليل اسمه الحاج بن علّاط السلمي، حديث بإذن الله سيكون محور حديثنا ولقاءنا في هذا اليوم كيف نبدأ عن سيدنا الحاج تفضل .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوع الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين الصحابي الجليل الحاج بن علّاط السلمي له قصة نادرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد فتح خير، الحاج بن علّاط السلمي فأسلم وكان غنياً كثيراً المال فقال: يا رسول الله إن مالي عند امرأتي أم شيبة ومتفرق في تجار مكة فائذن لي يا رسول الله أن آتي مكة لأخذ مالي، والمال كما يقال شقيق الروح، والمال أيضاً ابتلاء بالمناسبة ليس نعمة وليس نعمة وإنما هو ابتلاء بل موقوف على طريقة إيفاقه، فإذا أُنفق في طاعة الله كان نعمة وأية نعمة وإذا أُنفق في المعاصي والآثام كان نعمة وأية نعمة، فهو ليس نعمة وليس نعمة بل تحدد قيمته من خلال طريقة إيفاقه، فالإسلام استوعب الأغنياء والغنى الشاكِر ليس أقل أجرًا من الفقير الصابر بل إن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف .

وكان عليه الصلاة والسلام حريصاً على أصحابه وحريراً على مصالحهم، والمؤمن الذي يعطي هذا قوة للمسلمين والنبي عليه الصلاة والسلام طلب النخبة لأنهم يحملون معه بينما الأناس الذين لا يتمتعون بأي ميزة هم عبء أحبانًا يكونون .

فقال: يا رسول الله إن مالي عند امرأتي أم شيبة ومتفرق في تجار مكة فائذن لي يا رسول الله أن آتي مكة لأخذ مالي قبل أن يعلموا بإسلامي عندئذ لا أقدر على أخذ شيء منه، فأذن له النبي عليه الصلاة والسلام ثم قال الحاج: يا رسول الله لابد من أن أقول وكان عليه الصلاة والسلام فطناً، أقول ماذا؟ يعني أن أقول عليك كلاماً لا ترضاه من أجل أن يظنوا أنني لست مسلماً حتى

آخذ مالي قبل أن يعلموا بإسلامي، فأذن له النبي عليه الصلاة والسلام، فقال عليه الصلاة والسلام: قل ما شئت، هذا من فرط رحمته بأصحابه ومن تواضعه الشديد، فقال الحاج: فخررت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء مكان قبل مكة رجالاً من قريش يستمعون الأخبار ويسألون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغهم أنه سار إلى خير لمحاربة اليهود وهي من أقوى قرى الحجاز، وهم يتاجسون الأخبار من الرهبان، طبعاً في ذلك الوقت ليس هناك اتصالات إعلامية ولا فاكس ولا شيء .

لابد من أن نقف على أطراف المدينة لنسقي الأخبار من المسافرين ويسألون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغهم أنه سار إلى خير، إذا هم يتاجسون الأخبار من الرهبان وكان بينهم تراهن عظيم على مائة بعير حول من سيغلب النبي الكريم مع أصحابه الكرام أم أهل خير، التراهن مائة بعير، فلما رأوا الحاج ولم يكونوا قد علموا بإسلامه قالوا الحاج والله عنده الخبر اليقين قالوا: يا حاج إنك قد بلغنا أن القاطع قاتلهم الله يعنون به رسول الله قد سار إلى خير فقال الحاج: عندي من الخبر ما يسركم، فاجتمعوا عليه يقولون: إيه يا حاج فقال الحاج: فقل لهم لم يلقَ محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قوماً يحسنون القتل مثلهم فهزهم هزيمةً لم يسمع بمثلها وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث فيه إلى مكة فنقتله بين أظهرهم لمن كان أصاب من رجالهم، فانطلق هؤلاء الرجال فرحين أشد الفرح إلى أهل مكة فقيل لهم قد جاءكم الخبر هذا محمد إنما تنتظرون أن يقم به عليكم فيقتل بين أظهركم ثم قال لهم الحاج أعينوني على غرمائي أريد أن أقدم فأصيب من غنائم محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى هناك، فجمعوا إلى مالي على أحسن ما يكون فتشي ذلك بمكة وأظهر المشركون الفرح والسرور وانكسر من كان بمكة من المسلمين وسمع بذلك العباس بن عبد المطلب فجعل لا يستطيع أن يقوم من شدة حزنه بهذا الخبر، ثم بعث العباس إلى الحاج غلاماً يقول له: يا حاج الله أعلى وأجل من أن يكون الذي حدث حقاً .

المسلم لا يقبل أن الله يتخلى عن نبيه، لا يقبل أن الله يتخلى عن أوليائه، بهذه البساطة الخبر رفضه عقلاً، فقال الحاج للغلام: اقرأ على أبي الفضل السلام - أبي الفضل كانت كنيته - وقل له ليختلي لي بعض بيته لأنني بالخبر على ما يسره وأكتم عنك، فأقبل الغلام وقال أبشر يا أبي الفضل، فوثب العباس فرحاً كأنه لم يمسه شيء وأخبره بذلك، فأعتقه العباس رضي الله عنه لوجه الله فرحاً بهذا الخبر وقال الله علي عتق عشر رقاب على هذا الخبر السار، فلما كان الظهر جاءه الحاج وأخبره بالخبر الصحيح وناشد العباس أن يكتم عليه ثلاثة أيام فقال إني أخشى الطلب فإذا مضت ثلاثة أيام ظهر أمرك وطلت على العباس تلك الأيام الثلاث، قالوا: دقيقة الألم ساعة وساعة اللذة دقيقة، طالت على العباس هذه الأيام الثلاث ثم عمد العباس رضي الله عنه إلى حلقة فلبسها وتخلق بخلوق أي تطيب بنوع من الطيب وأخذ بيده قضيباً ثم أقبل يختر حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم لا يصيبك إلا الخير يا أبي الفضل، علموا أنه سمع الخبر واهتزت أركانه

لهذا الخبر، هذا والله من التجدد بحر المصيبة، قال: كلا والله الذي حلفتم به لم يصبني إلا خير بحمد الله أخبرني الحاج أن خير فتحها الله على يد رسوله صلى الله عليه وسلم وجرت فيها سهام الله وسهام رسوله وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت ملكهم، وإنما قال لكم ذلك ليخلص ماله منكم وإلا فهو من أسلم ورد الله الكعبة التي كانت بال المسلمين على المشركين فقال: المشركون ألا يا عباد الله انفلت عدو الله يعنون حاج أمّا والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر الدقيق .

أستاذ جمال

هذه القصة يمكن أن نستتبع منها بعض الحقائق الحقيقة الأولى تتعلق بسنة من سنن الله في خلقه وهي أن الله جل جلاله ينصر رسوله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يعني من سابع المستحيلات أن يخذل الله نبيه والمؤمنين معه، قال تعالى:

﴿وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾

[سورة الروم]

بل إن الله عز وجل يقول:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)﴾

[سورة النور]

أما إذا لم يكن هناك نصر، يقول الله عز وجل:

﴿وَإِنَّ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)﴾

[سورة الصافات]

معنى ذلك أن هناك خللاً في جنديتنا الله عز وجل، وقد يجابت عن هذا السؤال بقول تعالى:

﴿فَخَلَفَ مَنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيَّابًا (٥٩)﴾

[سورة مريم]

فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي

هناك قواعد للنجاح وهناك أسس إذا نفذت بحذافيرها كان نصر الله وإن لم يأتي النصر كان هناك يعني مشيئة من الله تعالى .

الأسس والقواعد والشروط تتلخص بكلمتين، الإعداد والإيمان الإيمان لقوله تعالى:

﴿وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾

[سورة الروم]

والإعداد لقوله تعالى:

﴿ وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُفْقِدُونَ مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (٦٠)

[سورة الأنفال]

ولكن الإيمان المطلوب هو الإيمان الذي يحملك على طاعة الله والعمل الصالح والإعداد المطلوب هو الإعداد التي تستنفذ به كل القوى، فإذا توافر الإيمان الذي تتبعه استقامة، والإعداد الذي يستنفذ كل القوى كان النصر من الله عز وجل مكافأة للمؤمنين والحقيقة الثانية تتعلق بخلق عظيم من أخلاق الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم وهو أنه رحيم بأصحابه رحيم بهم، وبمصالحهم، فهو قد سمح له أن يقول كلاماً غير صحيح من أجل أن يجمع ماله كله وهذا من كرم أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام .

الحقيقة الثالثة حكم فقهى، ملخص بقاعدة أصولية وهي أن حقوق الله عز وجل مبنية على المسامحة، بينما حقوق العباد مبنية على المشاححة، لذلك حقوق العباد لا تسقط إلا بحالتين، بالأداء أو بالمسامحة، لو أن إنساناً ذهب إلى الحج وتوهم أنه يعود من الحج كيوم ولدته أمه، نقول له: فيما بينك وبين الله أما حقوق العباد لابد من أن تؤدى هذه بعض الحقائق المستبطة من قصة الصحابي الحاج بن علاط السلمي .

إذاً فضيلة الشيخ

نقول رضي الله تعالى عز وجل عن سيدنا الحاج بن علاط السلمي الذي كان محور حديثنا في هذا اليوم من شهر رمضان الخير أهلاً ومرحباً فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق والمدرس الديني في مساجد دمشق وخطيب جامع النابلسي فضيلة الشيخ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين